

قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

للإمام ابن الحافظ ابن كثير

ذكر شيء من أخبار نوح نفسه عليه السلام

قال الله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}. قيل: أنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشرائه كله.
وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لِيرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِيحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فِيحْمَدَهُ عَلَيْهَا".
وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي أسامة.
والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية؛ فإن الشكر يكون بهذا وبهذا كما قال الشاعر:
أفادتكم النعماء مني ثلاثة * * يدي ولساني والضمير المحجبا

ذكر صومه عليه السلام

وقال ابن ماجه: باب صيام نوح عليه السلام: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِي فِرَاسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "صَامَ نُوحُ الدَّهْرَ إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى".
وهكذا رواه ابن ماجه عن طريق عبد الله بن لهيعة بإسناده ولفظه.
وقد قال الطبراني: حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْعِ رُوحُ بْنُ فَرَجٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ خَالِدِ الْحِرَانِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ رَبَاحٍ أَبِي فِرَاسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "صَامَ نُوحُ الدَّهْرَ إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَصَامَ دَاوُدُ نِصْفَ الدَّهْرِ، وَصَامَ إِبْرَاهِيمُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَامَ الدَّهْرَ وَأَفْطَرَ الدَّهْرَ".

ذكر حجه عليه السلام

وقال الحافظ أبو يعلى: حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ بْنُ وَكَيْعٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ زَمْعَةَ - هُوَ ابْنُ أَبِي صَالِحٍ - عَنْ سَلْمَةَ بْنِ دَهْرَانَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَجَّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى وادي عسفان قال: "يا أبا بكر أي واد هذا؟" قال هذا وادي عسفان. قال: "لقد مر بهذا نوح وهود وإبراهيم على بكران لهم حمر خطمهم الليف، أزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق". فيه غرابة.

ذكر وصيته لولده عليه السلام

قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الصَّقْعَبِ بْنِ زَهَيْرٍ، عَنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ - قَالَ حَمَادٌ: أَظْنَهُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَلَيْهِ جَبَّةٌ سَيْحَانٌ مَزْرُورَةٌ بِالْدِيْبَاجِ فَقَالَ: "أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنَ فَارِسٍ، أَوْ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنَ فَارِسٍ، وَرَفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنَ رَاعٍ". قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جَبَّتِهِ وَقَالَ: "أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ!" ثُمَّ قَالَ: "أَنْ نَبِيَّ اللَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ وَصِيَّةً؛ أَمْرُكَ بِاِثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اِثْنَتَيْنِ: أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وَضَعْتَ فِي كَفَّةٍ وَوَضَعْتَ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ رَجَحْتَ بِهِنَ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ. وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مَبْهَمَةً ضَمْتَهُنَ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، وَبَسَبَّحَانَ اللَّهُ وَبِحَمْدِهِ. فَإِنَّ بِهَا صَلَاتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يَرْزُقُ الْخَلْقَ. وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ" قَالَ: قُلْتُ - أَوْ قِيلَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الشِّرْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الْكِبْرُ؟ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لِهَمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ "لَا" قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حَلَةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ "لَا" قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ "لَا" قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: "لَا" قُلْتُ - أَوْ قِيلَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: "سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمَطِ النَّاسِ".

وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان في وصية نوح لابنه: أوصيك بخصلتين وأنهاك عن خصلتين" فذكر نحوه.

وقد رواه أبو بكر البزار عن إبراهيم بن سعيد، عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، كما رواه أحمد والطبراني. والله أعلم.

ويزعم أهل الكتاب أن نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة كان عمره ستمائة سنة. وقدمنا عن ابن عباس مثله، وزاد: وعاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة، وفي هذا القول نظر. ثم إن لم يكن الجمع بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض. فإن القرآن يقتضي أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون. ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك؟

فإن كان ما ذكر محفوظاً عن ابن عباس - من أنه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة - فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة.

وأما قبره عليه السلام: فروى ابن جرير والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلاً، أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام. وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين، من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر. والله أعلم.